

بسم الله الرحمن الرحيم

يوسف القرضاوي يتلاعب بعقيدة المسلمين

بقلم الشيخ؛ محمد بن محمد الفزاري

سألت سائلة: هل النصارى كفار؟

فأجاب الدكتور القرضاوي على هذا السؤال في حلقة يوم الأحد 22 جمادى الأولى 1419 الموافق: 13 / 09 / 1998 من برنامج (الشريعة والحياة) التي تبثه قناة الجزيرة، بما يمكن أن نجد له وجهاً من الحق وإن كان في كلامه ما يتعب المسلم الموحد. إلا أنه بعد ذلك تدخل مقدم البرنامج أحمد منصور بشبهة أفسدت على الشيخ كل شيء: [يعني هنا .. هم كفار بديننا وليسوا كفاراً بالله ... هذه القضية ينبغي أن توضح لأن هناك فهماً لدى كثير من الناس .. بأنهم كفار بالله] وهنا استأنف الشيخ القرضاوي كلامه متأثراً بتوجيه أحمد منصور قائلاً: [ليسوا كفاراً بالله... ويؤمنون بالله، ويؤمنون باليوم الآخر، ويؤمنون بعبادة الله سبحانه وتعالى، ويؤمنون بالقيم الأخلاقية، ولذلك نحن دعونا إلى الحوار الإسلامي المسيحي لأن هناك أرضية مشتركة بيننا وبينهم. { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (...) } وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت:46] [وقد أسقط من الآية قوله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ومكانه بين القوسين. ولعله مجرد سهو، ثم أردف قائلاً: [فنحن نؤمن بالله، ونؤمن بالفضائل، ونؤمن بالعبادات، ونؤمن بالآخرة. هذه قواسم مشتركة بيننا وبينهم. إنما ليسوا مسلمين يقيناً. هم يعتبروننا كفاراً، ونحن نعتبرهم كفاراً. هذا أمر طبيعي ... نحن كفار بدينهم، لا نؤمن بالمسيحية الموجودة. وهم كفار بديننا لا يؤمنون برسالة محمد وأن القرآن كلام الله. هذا أمر طبيعي يجب أن (...). ومع هذا ... الإسلام يدعو إلى التسامح مع هؤلاء الناس، وأباح مؤاكلتهم ومصاهرتهم والتزوج منهم ... رابطة اجتماعية نسبياً وصهراً (...). المصاهرة إحدى الروابط الأساسية، هذا هو الذي ...].

أضف إلى ذلك أنه خاطب نصرانياً من لبنان، بعد أن علم بنصرانيته، خاطبه: يا أخي.. يا أخي.. في لين بليغ وعبارات ودودة..

وقبل تحليل كلام القرضاوي وفسخه، وبيان ما فيه من التدليس والتلبيس على المسلمين، أحب أن أنه أن الشيخ القرضاوي مجرح في فتاواه عند أهل العلم، ونظرة شرعية خاطفة على كتاباته وفتواه تكفي لمعرفة مدى التسبب والتلاعب بالدين عند الرجل. حيث إنه

يتتبع رخص الأولين والآخرين، ويمطّ دائرة الضرورة من غير ضرورة شرعية حتى أحل بذلك كثيراً مما حرم الله.. جرياً خلف ما يسميه التيسير على المسلمين، والتبشير بالإسلام، فنسج على منوال التميع أنواباً قدرة تعكس طعوناً بليغة في ثوابت الدين المحكمة. ونحن مع التيسير والتبشير، ولسنا مع التعسير والتنفير، لكن دون أن يكون هذا ذريعة للاجتهاد في ما لا يجوز فيه الاجتهاد، كما يفعل القرضاوي وهو الذي أول كثيراً من النصوص بالهوى، مدهانة لمن طغى وغوى، فصار علماً في التأويل الفاسد.. وهاهو اليوم يشكك المسلمين في دينهم، ويشوه عقيدتهم عبر الفضائيات، حتى أصبح محط المدح المفرط من طرف النصارى والفساق والمتسيبين، فضلاً عن الطوائف والفرق الدينية المبتدعة التي اتخذته مُنظراً وإماماً وهادياً إلى صراط معوج.. فما عاد ينفع حوار، والقرضاوي عندهم أعلم من يهدي، وأهدى من يعلم.

الرد على القرضاوي، لا ينتهي، فمنكراته ومثالبه لا أول لها ولا آخر. ولقد رددت بعضاً من جهالاته الفظيعة حول مفهومه "لليموقراطية" في كتابي [الشورى المفترى عليها والديموقراطية]، ورد عليه آخرون وآخرون، في هذا وفي غير هذا. والرجل ليس في حاجة إلى نصح أو موعظة، إنما هو في حاجة إلى استتابة. والمطلوب أن يصدر فيه العلماء الأحرار تحذيرهم ونذيرهم حتى لا يستفحل الأمر أكثر، ولا سيما وقد بدأت ترخيصاته وتيسيراته المزعومة تتحول إلى دين وسلوك للمسلمين. فوجب البيان.

ورداً عليه حول ما سبق ذكره، أبدأ في هذه العجالة بمخاطبته للنصراني اللبناني في تودد مكشوف: يا أخي..! يا أخي.. فأقول: لأن كانت هذه الأخوة المعلنة دينية، فهي ردة واضحة ولا أبا بكر لها. والله تعالى يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات:10] بالحصص. ويقول: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة:11] واليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ليسوا إخوة للمسلمين، ولم يصبحوا وإيانا بنعمة الله إخواناً.

أما إن كانت هذه الأخوة في جانبها الإنساني، باعتبارنا جميعاً أبناء آدم وحواء عليهما السلام، على نحو ما ورد في قوله تعالى: { وَإِلَىٰ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا } [الأعراف:65] وفي قوله سبحانه: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا } [الأعراف:73] وقوله عز ثناؤه: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا } [هود:84] وما أشبه ذلك، فبعيد بكل تأكيد، ومعلوم أن هذه الأخوة المشار إليها في الآيات بين أولئك الأنبياء وأقوامهم الكفرة أخوة على نحو ما ذكر المفسرون. قال الإمام القرطبي رحمه الله في آية الأعراف 65: [أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا. قال ابن عباس أي ابن أبيهم. وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشراً من

بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أحاهم هوذا أي صاحبهم... [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي] وبالتأكيد ليس في هذا للقرضاوي معض ولا مستمسك. فليس ذلك النصراني اللبناني ابن أبيه أو ابن أبي المصريين جميعهم، وليس أحاً لهم في القبيلة، وليس صاحبهم، إلا أن يكون بشراً من بني آدم، فنعود إلى الأخوة الإنسانية، وهو ما لا يشي به سياق الحوار في البرنامج؛ ذلك الحوار المطبوع بالذلة وخفض الجناح للنصراني، في حين كانت عباراته في حقي، أنا المسلم، تنبعث منها رائحة الكراهية والسخط، كأني أفوت عليهم فرصة للتقارب أكيدة يقوم على أساسها جلاء الجيوش النصرانية من بلاد الإسلام شرقاً وغرباً.

ونقطة أخرى قبل التحول إلى غيرها، وهي أن الآيات السالفة الذكر فيها الإخبار من الله تعالى على تلك الأخوة وفق ما فسر أهل التفسير، وليس فيها أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام قال لكافر من الكفار: يا أخي. يا أخي.. أو يا إخواني.. بل يقول: { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [هود:65] ومثيلهما، فبطل القياس لهذا الفارق.

زد على هذا أن القرضاوي وأمثاله لا يقولون للشيوعيين والبوذيين والهندوس.. مثلاً: يا إخوان . مع أن الإنسانية جامعة. فهل هي إلا أخوة المحبة مع النصراني..؟

من هنا كانت إثارة هذه الأخوة مع النصراني اللبناني، الحربي بمفهوم الشرع، تليسياً خسيساً لا يشي إلا بالأخوة المحرمة، والتي هي ثمرة العقيدة اللجلجة في جانب الولاء والبراء. قال الله تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } [المجادلة:22] وأقرب الأمرين في مخاطبة النصراني: يا أخي.. يا أخي.. أنه إلقاء المودة المحرمة إليه ضداً على الإسلام الذي ينهي المؤمنين عن ذلك. فيقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } إلى قوله تعالى: { تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [المتحنة:1] والقرضاوي يعلن هذه المودة ولا يسر بها. والمفروض شرعاً، أقول المفروض وليس المستحب، أن تبدو العداوة والبغضاء بين المسلمين والكافرين، ولنا في ذلك الأسوة الحسنة في أب الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ } [المتحنة:4] فليفضل القرضاوي وليظهر لنا علمه في هذا، وليقل لنا فيما إذا كان النصراني يؤمنون

بالله وحده، أم يؤمنون بأن الله ثالث ثلاثة، وأنه سبحانه هو المسيح ابن مريم؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

النصارى كفار بالله واليوم الآخر إن ما نؤاخذه على القرضاوي في ما نقلناه عنه بأمانة، هو الإطلاقات التي أطلقها في النصارى من حيث وصفهم بأنهم مؤمنون و.. إلى آخره..، وهذه الإطلاقات من شأنها أن تُفهم فهماً يكتنفه كثير من الخلط، وكثير من التيه والضياع. وبالتالي تتسبب في التشويش على المؤمنين حيال هؤلاء النصارى واليهود المشركين بالله. لا سيما وأن هناك كتماناً من طرف الشيخ من حيث ضرورة التفصيل في أنواع الكفار محاربين ومعاهدين وذميين ومستأمنين... وكيف هي الأحكام الشرعية مختلفة باختلاف هذه الأنواع من الكافرين. فالتسامح الإسلامي الذي يدندن حوله القرضاوي ليس على إطلاقه ولكنه مقيد ومحدود، في حق أهل الذمة والعهود، بالشروط العمرية. وليس لأهل الحرب فيه نصيب، كما أن دعوته إلى ما أسماه الحوار الإسلامي بناء على الأرضية المشتركة المزعومة ليست دعوة سليمة ولا مستقيمة، وخاصة وهي محكومة من طرف حكومات لا علاقة لها بالإسلام البتة. (حكومة إيطاليا مثلاً) وتضم عناصر من الفقهاء هم أقرب للقوانين الوضعية الوضعية منهم للشرعية الإسلامية.

لذا أحببت هنا تنفيذ هذه الدعاوى التي أسماها القرضاوي قواسم مشتركة بيننا وبين النصارى، وأنها مجرد حيلة ابتدعها الكفار أنفسهم للحيلولة دون انتشار الوعي الإسلامي بضرورة إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. ذلك لأن الجهاد وحده هو الذي يحرر بلاد المسلمين من قبضة الكافرين. حيلة سيق إليها المخدوعون، واعتمدها المنافقون.

(1) قال الله عز ثناؤه: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } [المائدة:17] وهذه الآية قرأها القرضاوي خلال جوابه، إلا أنه استشهد بها على كون النصارى كفاراً بديننا وليسوا كفاراً بالله. وهذا تحريف للقرآن وتحريف في معانيه. فقولهم عن الله تعالى: { هُوَ الْمَسِيحُ } يفيد أنهم كفار بالله، ولا سيما باستعمال ضمير الفصل الذي يفيد الحصر، حيث وجب أن يكون الله تعالى عندهم هو المسيح ابن مريم لا غيره. وبالتالي فقولهم سبحانه: { لَقَدْ كَفَرُوا } هو الكفر بالله لا بأي شيء آخر. وقوم بلغ بهم الكفر هذا المبلغ لا تتأدب معهم على نحو ما يهذي به القرضاوي والمهزومون من ضرورة الأدب والأخلاق وما إلى ذلك، وانظر إلى أدب الأئمة الجهابذة أمثال الحافظ ابن كثير

رحمه الله الذي قال في أثناء تفسير هذه الآية نفسها: [وهذا ردّ على النصارى عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة] (تفسير القرآن العظيم، ج:2 / ص:34)

وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآية 116 من سورة البقرة { وقالوا اتخذ الله ولداً، سبحانه } حديثاً قدسياً أخرجه البخاري رحمه الله بسنده قال: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [قال الله تعالى: كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فيزعم أبي لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي فقوله إن لي ولداً فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً]

أرأيت ياشيخ يوسف أدب العلماء مع من يسبون الله تعالى؟ وفي المقابل، أرأيت كيف تتأدب أنت مع من يشتم ربك ورب الناس أجمعين؟ والآن ما حكم من يشتم الله عز وجل؟ هل هو مؤمن بالله أم كافر به؟ أترك الجواب للمفتي الكبير القرضاوي.

(2) وقال الله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ } [المائدة:73] قال ابن جرير الطبري رحمه الله: [قالوا كفراً برهم وشركاً: "الله ثالث ثلاثة" وهذا قول كان عليه جمهور النصارى...] [جامع البيان للطبري] أرأيت مرة أخرى ياشيخ.. [قالوا كفراً برهم وشركاً] فالكفر بالرب تعالى والشرك بالرب تعالى، ومعنى "ثالث ثلاثة": [الله سبحانه، وعيسى، ومريم] (فتح القدير للشوكاني) فهل الإيمان بالتثليث والقول بأن الله متعدد إيمان بالله تعالى؟

قلت: وهذه الآية ذكرها القرضاوي في معرض جوابه عن السؤال: هل النصارى كفار؟ لكن ذكرها مع تأكيده أنهم ليسوا كفاراً بالله في حين هي نص في كونهم كفاراً به جل وعلا. ثم جاء بالقول ونقيضه حيث اعترف أنهم كفار بديننا، وأنا كفار بدينهم. وفاته أنه ذكر بالحرف: [إن النصارى لهم عقائد معينة، القرآن اعتبرها كفراً بالتوحيد] (نفس الحلقة) فهل الكفر بالتوحيد إيمان بالله؟

(3) يقول القرضاوي بالحرف: [وهم (أي النصارى) كفار بديننا لا يؤمنون برسالة محمد وأن القرآن كلام الله].

فالنصارى إذن لا يؤمنون برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويسمون النبي الكريم: الكذاب، وفي هذا لا يغضب القرضاوي وأتباعه لوجه الله، وغيره على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى القرآن الكريم، بل يقولون عن هؤلاء الملاحين (إخواننا)

وأصح مقدم البرنامج "أحمد منصور" أن يتقي الله في هذا، وقد ذكرهم بهذه الأخوة غير مرة.

قلت: وإنكار ما أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إنكار لكل الرسالات، وطعن في ذات الله جل جلاله، وهم بهذا ما قدروا الله حق قدره: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: 91] قال ابن أبي العز في كتابه "شرح العقيدة الطحاوية": [بل إنكار رسالته صلى الله عليه وآله وسلم طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفاهة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار]. [ص: 153]، ثم بين ذلك بالأدلة والبراهين، رحمه الله.

ومن المعلوم أن القرضاوي لبس على المسلمين في كون النصارى أهل كتاب، وقال [وناديهم بأهل الكتاب] كأنه يستثقل نعتهم بالكفر. وبأن الإسلام [يدعو إلى التسامح مع هؤلاء الناس، وأباح مؤاكلتهم ومصاهرهم والتزوج منهم..] على حد قوله.

ومن المعلوم لدى صغار طلبة العلم أن كون اليهود والنصارى أهل كتاب، لا يعني بحال من الأحوال الشرعية أنهم مؤمنون بالله، بل قد صرح القرآن بأن من أهل الكتاب من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر مع كونهم من أهل الكتاب؛ وذلك في قوله سبحانه: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة: 29] وهذا صريح جداً، خاصة إذا علمنا أن الآية نزلت في محاربة الروم. فغزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها غزوة تبوك. (تفسير الطبري للآية)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: [فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد الرسل ولا بما جاءوا به وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وأبائهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن جميع الأنبياء بشرؤا به وأمروا باتباعه. فلما جاء كفروا به وهو أشرف الرسل علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من الله. بل لحظوظهم وأهوائهم فلهم لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم. ولهذا قال: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ }.

قلتُ: ولئن ادعى أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، فليس هو الإيمان المعتبر شرعاً. هم مؤمنون بزعمهم، لكنهم كافرون في شرعنا. والعبرة بما عندنا لا بما يأفكون.

وطبعاً القرضاوي لا يجب الكلام في الجزية وأحكامها ولا في مشروعيتها إبقاءً على مودته للنصارى، وخصوصاً أقباط مصر الذين تربطه بهم مودة المواطنة، وعذوبة النيل.. وقد يقول المفتونون به: ليس القوت وقته. ونقول: بل وقته. والإسلام كله صالح للزمان كله والمكان كله إلى قيام الساعة. وإلا، هل الوقت وقت المرأة القاضية في الإسلام؟ فأين الإسلام؟ ولماذا الدندنة حول الملكة بلقىس يوم أن كانت كافرة، وقبل أن تسلم وجهها لله مع سليمان عليه السلام؟ بل لماذا ولاية المرأة بما كان في شريعة من قبلنا المنسوخة بشريعتنا؟

وفي كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، جاء في الصفحة 215 منه قوله: [وإذا كانت المشاهدة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح كانت محرمة. فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله؟ من التبرك بالصليب، (قلت: فالتبرك بالصليب إيمان بهذا الصليب، وهو تكذيب مباشر لرب العالمين، فهل هو إلا الكفر بالله كما قال شيخ الإسلام؟) ... والتعميد في المعمودية، أو قول القائل "المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة" ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله. وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، والتدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك؟].

أجل، بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك. فما هي تلك الوسطية وذاك الاعتدال الذي يرفع القرضاوي رأيته، وقد خالف الأمة الوسط بلا خلاف؟

وبخصوص المناكحة والمصاهرة والمؤاكلة، فهذه من الأمور التي ينبغي إمعان النظر فيها اليوم، ذلك لأن النصارى واليهود في هذا الزمان حربيون وليس منهم ذمي واحد، وأن أغلبيتهم اليوم لا علاقة لهم لا بالتوراة ولا بالإنجيل، على ما فيهما من تحريف. وكل ما لدى النصارى اليوم مثلاً هو إنجيل متى وإنجيل ماركوس وإنجيل يوحنا وإنجيل لوقا. وليس عندهم إنجيل عيسى عليه السلام، ولو كان عندهم إنجيل عيسى عليه السلام وهم مؤمنون به لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. ونستحضر هنا أن من الصحابة رضي الله عنهم من كان لا يرى الزواج والمصاهرة.. إلا من حرائر وعفائف الذميين، وليس من الحربيين. هذه واحدة. ومنهم من كان يرى أن امرأة تقول "عيسى ابن الله" هي مشركة لا تحل. قال ابن كثير في التفسير: [وقيل المراد بذلك الذميات دون الحرييات لقوله }

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر { .. الآية وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول إن ربها عيسى وقد قال الله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " الآية]

صحيح خالفه الصحابة رضي الله عنهم، للاعتبارات التي ذكرها ابن كثير رحمه الله. وهو ما نعيه على القرضاوي الذي يفتي في أمور كثيرة وخطيرة دون أن يشير إلى ما هنالك من أقوال للسلف، ودون ما وضعه أولئك السلف من قيود وشروط.. لذا جاءت فتاوى القرضاوي في كثير من القضايا متسيبة سقيمة.

أما أهل الكتاب الحقيقيون، فهم أهل الكتاب الحقيقي، الكتاب الذي أنزله الله تعالى من توراة وإنجيل، قبل التحريف. أما بعد التحريف، فلم يعد أحدهما الكتاب الذي أنزله الله، ولا أتباع المحرف منهما أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله. إلا وفق ما تعارف عليه الكفار وزعموه لأنفسهم من أنهم أهل دين وإيمان، والعبارة بما في ديننا لا بما في أفواههم، كما علمت.

ومما ينبغي أن يعلمه المسلمون، أن التسامح المطلوب شرعاً مع غيرهم، مقيد وليس مطلقاً، كما قلت آنفاً. والقرضاوي ذكر قول الله تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [العنكبوت:46] وعامة المسلمين لا يفهمون ما هي هذه التي هي أحسن، ولا ما هي طبيعة تلك المجادلة، وعلى أي أساس وبأية شروط، إلا من كان دارساً. واستغلال جهل المسلمين من طرف أصحاب راية الاعتدال المزيفة، استغلال حبيث حال من تقوى الله تعالى. فهل ذكر القرضاوي للناس بأن ما استشده به هنا منسوخ على حد قول التابعي الجليل قتادة وغيره، رضي الله عنهم؟ أو أنها محكمة لكن في حق طلاب الحق من أهل الكتاب؟ وهذا كما قال المفسر الكبير ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: [قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف. ولم يبق معهم مجادلة. وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف. وقال آخرون: بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أجمع فيه. كما قال تعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة } الآية ... (إلى قوله) قال مجاهد: { إلا الذين ظلموا منهم } يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية.] اهـ. وهذا هو القيد في التسامح الإسلامي. فهل نتبع سلفنا الصالح، أهل العلم والعمل، أم نتبع الدكتور وصاحبه أحمد منصور؟

ولا شك أن الفهم الصحيح للقرآن الكريم هو فهم السلف لا فهم الخلف المخالف. والذين يتجاوزون أقوال الأئمة وحفاظ الأمة ويذهبون إلى مزيلة الأفكار البشرية قوم لا

يعقلون. ثم إن القرضاوي كتم على المسلمين الاستثناء القرآني في الآية، فأوردها ناقصة في المبني والمعنى، وهو عبث بعقيدة المسلمين لا يخدم إلا مراد الكافرين والمنافقين. والمستثنى من الجدل والتي هي أحسن، وفق ما تم بيانه، هو قوله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ولئن كان إسقاطها عن سهو، كما رجحنا، فإسقاط معناها كان عن عمد. وهذا هو الخطر على الشيخ، ونقول عن عمد، لأن كل ما بنى عليه من اجتهادات كان على هذا الخرم الفاضح للقرآن الكريم. أم نقول جاهل؟

وهؤلاء الذين ظلموا منهم، هم أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية؛ كما قال مجاهد رضي الله عنه. وهم اليوم الذين يصلون ويجولون ويسرحون ويمرحون في بلاد المسلمين، بل يقتلون ويغتصبون ويهربون وينهبون ويحاصرون.. كما فعل الأمريكان ولا يزالون. ويعصبرني الألم وأنا أسمع إداة القرضاوي لليهود باعتبارهم يفعلون في فلسطين المسلمة ما يفعلون، ويرى ساحة النصارى على ما هم عليه من عدوان وإجرام في حق أمتنا. وكأني به يجهل أن النصارى هم وراء زرع الكيان اليهودي في قلب أمتنا، وهم الذين يحمون اليهود وينصرونهم بالرجال والأموال والعتاد والتكنولوجيا والدعاية والإعلام والفيتو... وغير ذلك. ويتجاهل أن النصارى محاربون بكل معاني الكلمة، كما يدل على ذلك الوضع في جنوب السودان وفي احتلال المدينتين المسلمتين سبتة ومليلية، بل واحتلال بلاد الجزيرة العربية الآن احتلالاً مسلحاً، وإن كان مقتعاً.. بل إن النصارى في مصر والأردن وسوريا ولبنان وغيرها محاربون بكل المعاني الشرعية، وأنهم حقيقة هم وأمثالهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله: { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } فهؤلاء ليسوا معنيين بالجدال والتي هي أحسن، ولو على فهم المهزومين.

ونأتي الآن إلى الأمور المشتركة المزعومة بيننا وبين أهل الكتاب. فقد ذكر القرضاوي أن هناك أموراً مشتركة بيننا وبين النصارى، ينبغي أن تشكل قاعدة التسامح والتعايش.. وهي الإيمان بالله واليوم الآخر.. إلخ، وقد سبق أن بينا بالنصوص القاطعة أن النصارى واليهود لا يؤمنون بالله تعالى، وأن كل من لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو بالإسلام، أو بشيء منه فهو لا يؤمن بالله تعالى. والقول بأنهم مؤمنون بالله ولكنهم كفار بديننا، كما قال القرضاوي، قول سقيم لا يمت إلى العلم بأدنى صلة. ذلك لأن الله الذي يؤمن به اليهود له ابن اسمه عزيز، والله الذي يؤمن به النصارى له ابن اسمه المسيح، والله الذي يؤمن به - نحن المسلمين - لم يلد ولم يولد، فهل الله هو هو في عقيدة هؤلاء وهؤلاء؟ اللهم ألف لا. فإن قالوا: إنهم يؤمنون بالله، فليس الله الذي يؤمنون به هو الله الذي نعلم نحن أسماءه وصفاته وأفعاله التي هي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وإن إبراهيم عليه السلام الذي نجتمع فيه - نحن الثلاثة - مسلمين

ويهوداً ونصارى، والذي هو أيضاً من القواسم المشتركة بيننا وبينهم كما يقول الجاهلون، كان مسلماً ولم يكن مشركاً: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران:67] وفي قوله تعالى: { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } إشارة إلى أن اليهود والنصارى مشركون. كيف لا وهم الذين { اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة:31] أجل: { سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }، وكذلك الأمر في قوله تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [البقرة:135].

وأحتم بما بدأ القرضاوي به، قال: [كلمة كفار، يعني إيه؟ ملحدون؟ ليسوا ملحدين]. قلها بنبرة غاضبة.. وأقول: بل هم ملحدون بلغة الشرع، وأعلم أنه يقصد ما تعارف الناس عليه اليوم من أن الملحدين هم الدهريون والشيعيون وأمثالهم الذين ينكرون اليوم الآخر. إلا أن تغليب لغة الشرع في فتاوانا ينبغي أن يكون سائداً، لأنه هو الصواب. ونفي الإلحاد عن أهل الكتاب بهذا الإطلاق لا ينم إلا عن المشاشة العلمية، أو الكتمان لشهادة الحق عياداً بالله. فما هو الإلحاد؟

[الإلحاد: الميل وترك القصد؛ يقال: أَلحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته.] [تفسير القرطبي].

[وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب. وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ...] [تفسير القرآن العظيم].

قلت: واليهود والنصارى مالوا ميلاً عظيماً، وتركوا القصد المطلوب، وكذبوا بدين الله تعالى جملة وتفصيلاً، وطعنوا في أسماء الله جل وعلا طعنًا بليغاً، وجاروا وانحرفوا وانجرفوا. { فَلَعَنَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة:89]

فيا شيخ يوسف القرضاوي، اتق الله تعالى. فقد بلغت من الكبر عتياً، ولم يعد أمامك عمر مديد. وانظر كيف تلقى ربك. وعد إلى ذلك الماضي المشرق في حياتك يوم كنت طليقاً في سجن أعدائك، وقبل أن تصبح أسيراً في عالم ساداتك وكبرائك اليوم، حيث كنت يومها تنشدنا من وراء القضبان:

النور في قلبي، وقلبي بين يدي ربي، وربي ناصرني ومعيني.
سأظل معتصماً بحبل عقيدتي، وأموت مبتسماً ليحيى ديني.

فلا تمت عبوساً ليحيى دين شنودة. وإياك أن تأخذك العزة بالإثم.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

وكتبه محمد بن محمد الفزازي
طنجة: 24 جمادى الأولى 1419هـ



تم تنزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdes.com>
<http://www.alsunnah.info>